



عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

# الموازنة بين موقفي موسى وهارون عليهما السلام في المحافظة على وحدة الأمة في ضوء القرآن الكريم

دكتور

محمد عبد العزيز أحمد هيكل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

جامعة الملك عبد العزيز

كلية العلوم والآداب بالكامل

يوليو ٢٠١٣ م

العدد السبعون ( ٧٠ )

مجلة الثقافة والتنمية



## المقدمة

امتن الله ﷻ على نبيه ﷺ بتوجيهه لكل خير، وتسيده وهدايته لأقوم السبل، فقال ﷻ: (وأنزل الله عليك الكتاب وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) النساء: ١١٣، وأمره أن يدعو مستريداً فقال: (وقل رب زدني علماً) طه: ١١٤

فكان مما علمه مما أوحاه إليه كيفية الموازنة بين مراتب الأعمال، وأن يجعل كل شيء في مرتبته بالعدل والقسطاس المستقيم، فيقدم المصلحة الراجحة على المرجوحة، ويعمل على أن يدرأ المفسدة قبل أن يسعى لجلب المصلحة، ويوازن بين الشرور والمفاسد بعضها بعضاً، فيرتكب أهون الشرين، ويتحمل أخف الضررين، وهذه المسألة من أهم مقاصد بعثته ﷺ، إذ إن البعثة المباركة ما قامت إلا لتحقيق مصالح العباد في الدارين.

ولم يكن نبينا الكريم ﷺ في ذلك بدعا من الرسل، فقد وقع هذا الغيرة من الأنبياء والمرسلين الذين أمره الله ﷻ بالافتداء بهداهم، فقال بعد ما ذكر منهم ثمانية عشر رسولا ونبيا: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الأنعام: ٩٠

وموافقة رسول لمن قبله في أصول الدين وبعض فروع لا يسمى اقتداء ولا تأسيًا - كما يقول صاحب المنار - وإنما يكون التأسي به في طريقته التي سلكها في الدعوة إلى الدين وإقامته. فعلم بهذا أنه كان مهتدياً بهداهم كلهم، وبهذا كانت فضائله ﷺ ومناقبه الكسبية أعلى من جميع مناقبهم وفضائلهم، لأنه ﷺ اقتدى بها كلها، فاجتمع له من الكمال ما كان متفرقا فيهم<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> - تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٧/ ٥٩٦ - ٥٩٨ باختصار شديد

ولما كان ذلك كذلك وقع اختيار الباحث على أكثر الأنبياء والمرسلين ذكراً في القرآن وهو نبي الله وكليمه موسى ﷺ، وما كان منه مع أخيه هارون ﷺ عندما عبد بنو إسرائيل العجل، وموطن الخلاف بينهما في كيفية سياسة الأمة والمحافظة علي وحدتها، وهو موطن من الدقة بمكان، حيث اختلف فيه كلمة المفسرين والأصوليين وأرباب الدعوة قديماً وحديثاً، ما بين مؤيد لموقف هارون ﷺ في تصرفه في حفظ الدهماء، وعدم تفريق كلمة الأمة، حتى بعد نكوص فئة منها وعبادتها لغير الله ﷻ، فإن ذلك يمكن تداركه فيما بعد بالتعاون مع موسى ﷺ، بخلاف ما لو وقع السيف بينهم، وأريق الدماء، وأزهقت الرواح، فإن مغبة ذلك مصائب لا يمكن تداركها.

والموقف الآخر من قبيل من العلماء الذي يرى صواب توجيه موسى ﷺ لأخيه، إذ كان من الحتم عليه أن يفارق هؤلاء الظالمين، إذ لم يستطيع ردهم أو قتالهم، فوجب عليه إذ ذاك أن يتبع موسى ﷺ إلى الطور بمن معه من المؤمنين، وذلك حيث لا يمكن البقاء بين ظهرائي أولئك المشركين، ولا يمكن - كذلك - السكوت على فعلتهم وإقرارهم عليها.

وبين وجهتي النظر هاتين كان اجتهاد الباحث في محاولة الوصول إلى كلمة سواء في الموازنة بين موقفي موسى وهارون عليهما السلام في المحافظة على وحدة الأمة في ضوء القرآن الكريم، وذلك من خلال الدراسة التحليلية لآيات سورتي "الأعراف" و"طه" التي عرضت لموقف هذين النبيين الكريمين من عبادة بعض بني إسرائيل العجل، ووقعهم في الشرك، ووجهة نظر كل منهما في كيفية رأب الصدع، وسياسة الأمة.

## أسباب اختيار هذا البحث

كان لاختيار هذا الموضوع دوافع عدة منها:

- إبراز المنزلة الرفيعة للنبي الكريم ﷺ، وشدة عناية ربه ﷻ به من خلال إطلاعه على الدروس والعبر التي في سير الأنبياء والمرسلين السابقين: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يوسف: ١١١، وقال ﷺ: (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) هود: ١٢٠
- كثرة ذكر موضوع الموازنات في القرآن الكريم من خلال دعوات الأنبياء والمرسلين والمصلحين.
- ندرة البحث فيه في العصر الحديث بحثاً تأصيلياً، مما جعل الكثير يخطب فيه خطب عشواء، وأضحى ساحاً رحباً لكل من أراد أن يتقلت من ربة الشرع أن يتناول - باسم التجديد تارة، والأوليات أخرى، وفقه الواقع الثالثة - على الدين باسم الدين، وينقض عرى الإسلام وأصوله بحجة الأولى والأهم، دون مراعاة النص، أو فقه الواقع على الحقيقة.
- حاجة الأمة في هذا العصر إلى ترتيب أولوياتها، والموازنة بين القضايا التي تعرض لها، وبخاصة مع ما تتعرض له من محاولات لهدم عقيدتها من جهة، وتفتيت بنيتها المهيمنة - أصلاً - من جهة أخرى.

## أهميته

لما كانت الشريعة قائمة على تحقيق مصالح العباد وحفظها، ودفع الضرر عنهم في الدنيا والآخرة، كان لابد من ميزان يعرف به العباد كيفية تحقيق تلك المصالح ودفع المضار وبخاصة عند التعارض، وكذلك لما كان الاختلاف والتباين قائماً - لا محالة - بين العقول والمدارك، كان من الواجب على ذوي الألباب معرفة القدر المشترك بينهم فيتعاونون فيه، وينبذون أسباب الخلاف والفرقة طالما بقيت في إطار الفروع والجزئيات، دون الأصول والكليات. وقد ذكر الله ﷻ هذا الفقه الجليل - فقه الموازنات - في كتابه العزيز في مواطن قد تستعصي على الحصر، فمنها على سبيل المثال مع نبينا ﷺ:

أسرى بدر، والإذن للمنافقين في غزوة العسرة، والصلاة في مسجد الضرار، وشروط صلح الحديبية، والجدال عن المنافقين، والاستغفار لهم وللمشركين.. وغيرها الكثير في دعوة النبي ﷺ. وأما عن غيره من الأنبياء فهذا موسى ﷺ وموقفه محل الدراسة التي معنا في المحافظة على وحدة الأمة، والموازنة بين مقومات ودعائم تلك الوحدة، وهو موطن جدير بالدراسة والبحث، وكذلك مواقفه في سورة الكهف مع الخضر ﷺ وما فيها من موازنات، وغيرها من المواطن التي وقعت لذلك النبي الكريم وغيره من المصلحين في القرآن الكريم. وأخيراً، فمن خلال هذه الدراسة يتم التركيز على علاقة المسلم بغيره ممن يخالفه في عقيدته، وكيفية التعامل مع الطوائف المختلفة التي تعيش مع المسلمين، مما يؤصل لفقه رشيد يجلي الحقائق للمسلمين، فيبين لهم كيفية الموازنة في تعاملهم بالبر والقسط دون تنازل عن شيء من الوحي الكريم.

## منهج البحث

كان المنهج المتبع في هذا البحث هو: "المنهج التحليلي"؛ بحيث يتم ذكر النصوص موثقة من مصادرها، مع التثبت في النقل العزو، والاجتهاد في نقد القوال وتمحيصها، ثم تحليل ما ورد فيها بغية الوصول إلى نتيجة الموازنة على الوجه الصحيح أو الراجح، مع محاولة إسقاط النتائج على ما نحن فيه في هذا العصر من أحداث، وذلك للاستفادة العملية من ذلك التحليل، كل ذلك مع الرجوع إلى أمهات كتب التفسير، وأصول الفقه، والكتابات المعاصرة في فقه الموازنات، فضلاً على عزو الآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث مع ذكر تصحيح علماء الحديث لها أو تضعيفها، وولإعراض عن الترجمة للأعلام المذكورة أسماؤهم في البحث خشية الإطالة، وكذلك التعريف بالفرق والطوائف والبلدان الوارد ذكرها في البحث، كل ذلك مع الاهتمام بعلامات الترقيم، وتوثيق النقل بذكر مصدره، وكتابة المرجع في ذيل كل صفحة مع ذكر تفاصيل المراجع في فهرس المراجع، والاكتفاء - أحياناً - بكتابة الاسم المشهور لبعض المراجع دون الحاجة لذكر الاسم الكامل للمرجع، مع استخلاص أهم نتائج البحث، وكتابة قائمة بمراجع البحث وموضوعاته، ثم الختام بنتائج البحث وتوصياته.

## الدراسات والأبحاث السابقة

لم يتم العثور - بحسب الجهد - على بحث يلم شعث هذا الموضوع من جهة علمي التفسير وأصول الفقه، وتطبيق ذلك على الواقع، وإنما هي أبحاث متناثرة في بطون كتب التفسير وأصول الفقه القديمة والحديثة، وإن كانت بعض كتب الدعوة تناولت هذا البحث بشيء من التفصيل في ثنايا الحديث عن قضايا دعوية معاصرة، وكان الداعية المعاصر الدكتور/ يوسف القرضاوي له قصب السبق بتركيزه عليه في كثير من كتبه، والتي منها على سبيل المثال: من فقه

الأولويات- أولويات الحركة الإسلامية- تيسير الفقه للمسلم المعاصر- من فقه الدولة في الإسلام- الصحوة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم- الصحوة بين الجحود والتطرف.. وغيرها الكثير، وكتاب فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية، لعبد السلام عيادة الكربولي، ومن الرسائل التي تناولت جانباً من هذا الموضوع: رسالة "فقه الموازنات الدعوية. معالمه وضوابطه" للدكتور معاذ محمد أبو الفتوح البيانوني، وكتاب "الأدلة على اعتبار المصالح والمفاسد في الفتاوى والحكام" تأليف: هشام ابن عبد القادر بن محمد آل العقدة، لكنه مختصر موجز، وكتاب: "أدب الخلاف" للدكتور طه جابر العلوانى، وغير ذلك من مؤلفات دعوية معاصرة.

### حدود البحث

يقتصر البحث على دراسة النص القرآني الوارد في آيات سورتي "الأعراف" و"طه" الخاص بموضوع البحث.

أولاً: خطة البحث: اشتمل هذا البحث على: (مقدمة- تمهيد- مبحثين- خاتمة) أما المقدمة: فقد اشتملت على: "أسباب اختيار الموضوع- أهميته- منهج البحث فيه- الدراسات والأبحاث السابقة- حدود البحث".

وأما التمهيد: فقد اشتمل على: "تعريف الموازنات- ضوابط في الموازنات- الموازنة بين اجتهاد الأنبياء وعصمتهم".

المبحث الأول: أولاً: القيادة الراشدة ووحدة الأمة. ثانياً: عبادة بني إسرائيل العجل. ثالثاً: موقف هارون عليه السلام من عبادة العجل.

المبحث الثاني: أولاً: تحرير محل النزاع بين موسى وأخيه عليهما السلام. ثانياً: الموازنة بين الموقفين.



**الخاتمة:** وقد اشتملت على أهم نتائج البحث، وتوصياته.

**التمهيد:** أولاً: المراد بالموازنات: الموازنة لغة: من قولنا: وازنت الشيء موازنة وزناً، وهذا يوازن هذا، إذا كان على زنته، وإذا كان يحاذيه<sup>٢</sup>، والوزن: معرفة قدر الشيء<sup>٣</sup>.

واصطلاحاً: يشمل المعنيين السابقين، أي: معرفة قدر الشيء في ذاته، ومعرفة قدره مقارنة بغيره؛ وبناء عليه فإن الموازنة بين المصالح تكون بمعرفة قدر الشيء في ذاته للحكم عليه بكونه مصلحة أم لا، ثم معرفة قدره مقارنة بغيره من المصالح للموازنة بينهما حال تعارضهما، وذلك وفق الضوابط الشرعية.

**ثانياً: ضوابط في الموازنات:**

إن باب التعارض باب واسع جداً، لا سيما في الأزمنة والأمكنة التي نقصت فيها آثار النبوة، وخلافة النبوة، فإن هذه المسائل تكثر فيها، وكلما ازداد النقص ازدادت هذه المسائل، ووجود ذلك من أسباب الفتنة بين الأمة، فإنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات؛ وقع الاشتباه والتلازم، فأقوام قد ينظرون إلى الحسنات فيرجحون هذا الجانب؛ وإن تضمن سيئات عظيمة، وأقوام قد ينظرون إلى السيئات فيرجحون الجانب الآخر؛ وإن ترك حسنات عظيمة، والمتوسطون الذين ينظرون للأمرين قد لا يتبين لهم أو لأكثرهم مقدار المنفعة والمضرة، أو يتبين لهم فلا يجدون من يعينهم العمل بالحسنات وترك السيئات؛ لكون الأهواء قارنت الآراء<sup>٤</sup>، فالمصالح ليست ما يراه الإنسان مصلحة له ونفعاً حسب هواه، وإنما المصلحة ما كانت مصلحة في ميزان الشرع، لا في ميزان الهوا.

<sup>٢</sup> - الصحاح. تاج اللغة وصحاح العربية ٢٢١٣/٦

<sup>٣</sup> - مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني ص ٨٦٨

<sup>٤</sup> - مجموع الفتاوى. ابن تيمية ٥٨-٥٧/٢٠

والشبهات<sup>٥</sup>، ولذلك قعد العلماء قواعد مستنبطة من الكتاب والسنة حتى يمكن الاهتداء بها في سبيل الموازنات الصحيحة، منها على سبيل المثال مما يتعلق بموضوع البحث: أن المصالح الضرورية مقدمة على الحاجة، والمصلحة الأصلية على المكمل، وأن مصالح النفس مقدمة على المال، وأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، والقطعية على الظنية، والواقعة على المتوقعة<sup>٦</sup>، وإذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررًا بارتكاب أخفهما<sup>٧</sup>، وأن الضرر لا يزال بمثله، ولا بما هو فوقه بالأولى؛ بل بما هو دونه.. وإذا كان الضرر لا تتيسر إزالته إلا بإدخال ضرر على الغير مثله، ولا يمكن جبره بترك على حاله<sup>٨</sup>.

فكل تلك القواعد وغيرها إنما شرعت لإقامة الموازنات بما يحقق المصلحة، ويدرك المفسدة، ويجلب للعباد سعادة الدارين.

### ثالثًا: الموازنة بين اجتهاد الأنبياء وعصمتهم:

تعريف الاجتهاد لغة واصطلاحًا: الاجتهاد لغة: بذل الجهد والمجهود<sup>٩</sup>، واصطلاحًا: هو بذل الجهد في تعرف الحكم الشرعي<sup>١٠</sup>.

<sup>٥</sup> - الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان ص ٣٤٨.

<sup>٦</sup> - نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، حسين حامد حسان ص ٥٢٨.

<sup>٧</sup> - شرح القواعد الفقهية، مصطفى الزرقا ص ٢٠١.

<sup>٨</sup> - السابق ١٩٥-١٩٦.

<sup>٩</sup> - الصحاح ٤٦٠/٢-٤٦١.

<sup>١٠</sup> - مختصر الروضة للطوفي ص ٤٣٩.

وبما أن أساس هذا البحث مبني على إثبات وقوع الاجتهاد من الأنبياء، حيث إن إيقاع الموازنة يقتضي النظر والاجتهاد في معرفة الصواب والأولى، فإذا ثبت ذلك فقد يرد على ذلك شبهة مفادها: أن إثبات القول بجواز وقوع الاجتهاد من الأنبياء يقتضي نفي العصمة عنهم؛ وذلك لأن الاجتهاد يقع فيه الصواب والخطأ، والعصمة مانعة من الزلل والخطأ؛ ولإزالة هذا التعارض كان تحقيق القول مختصراً في الموازنة بين اجتهاد الأنبياء وعصمتهم كالتالي:

أن الإجماع قد انعقد لدى العلماء على أنه يجوز للأنبياء الاجتهاد فيما يتعلق بمصالح الدنيا، وتبدير الحروب، ونحوها.. وذلك كما وقع من نبينا ﷺ عند إرادته بأن يصلح غطفان على ثلث ثمار المدينة، وكذلك ما كان قد عزم عليه من ترك تلقيح ثمار المدينة<sup>١١</sup>، فأما اجتهادهم في الأحكام الشرعية، والأمور الدينية فقد اختلفوا في ذلك.. والصحيح أنه يجوز لنبينا ﷺ وغيره من الأنبياء، وإليه ذهب الجمهور<sup>١٢</sup>. أما العصمة لغة فهي: المنع والحفظ<sup>١٣</sup>، واصطلاحاً: هي المنع من المعاصي<sup>١٤</sup>، وقيل: هي ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليه<sup>١٥</sup>. وكلا المعنيين اللغوي والاصطلاحي يدوران حول معنى الحفظ من الوقوع في الخطأ والمعاصي، والوقاية من الشرور والأعداء، والعصمة في التبليغ، ومدار البحث إنما هو المعنى الأول من ناحية الاجتهاد

<sup>١١</sup> - مسلم كتاب الفضائل ح ٢٣٦٢- ابن ماجة أبواب الرهون ح ٢٤٧١

<sup>١٢</sup> - يراجع للاستفصال والأدلة: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٣/٣٩٩- أصول الجصاص

٢/٩٣-٩٤- المحصول في علم أصول الفقه للرازي ٦/٧- تفسير أبي السعود ٦/٧٩- شرح مختصر

الروضة للطوفي ٣/٥٩٨-٦٠١- إرشاد الفحول إلى علم الأصول للشوكاني ٢/٣٠٤-٣٠٦.

<sup>١٣</sup> - الصحاح ٥/١٩٨٩.

<sup>١٤</sup> - غريب ألفاظ الحديث لابن قتيبة ١/١٠٥.

<sup>١٥</sup> - المعجم الوسيط ٢/٦٠٥.

فيما لم يوح إليه في شيء وتفهم العصمة في هذا الإطار على أن الأنبياء عليهم السلام قد تقع منهم أخطاء يعاتبون من الله ﷻ عليها، ويوفقون إلى الصواب فيها، ولكن هذه الأخطاء لا تخلُّ بأمور اعتقادية أو خلقية؛ مما يعد الوقوع فيها أمراً شائناً<sup>١٦</sup>، وعلى أي حال فإن من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا ﷺ مجمعون على أنه لا يُقرَّ على منكر من قول أو فعل<sup>١٧</sup>، وهذا هو مفهوم العصمة، وليس معناها عدم الوقوع في الذنب أو الخطأ ابتداءً، وعلى هذا فلا تنافي بين القول بعصمة الأنبياء واجتهادهم في آن، إذ لا تعارض بين هذا وذاك، فالاجتهاد قد يفضي إلى الخطأ، والعصمة تعني عدم الإقرار على ذلك الخطأ.

### المبحث الأول:

أولاً: القيادة الرشيدة ووحدة الأمة: إن الله ﷻ لم ينزل الكتب، أو يرسل الرسل إلا لإقامة الدين في الأرض، وتلك هي مهمة الرسل والأنبياء الأولى، والمؤمنون تبع لهم في ذلك، حيث يتوجب على القيادة المسلمة أن تعمل جاهدة على إقامة شرع الله ﷻ وإصلاح الدنيا بالدين، وسياسية الناس بالوحي الكريم، وقد قال الله ﷻ لنبيه الكريم موسى ﷺ عندما أوحى إليه التوراة: (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين) الأعراف: ١٤٥، والأمر الإلهي الجليل لموسى ﷺ أن يأخذ الألواح بقوة وعزم، وأن يأمر قومه أن يأخذوا بما فيها من التكاليف الشاقة بوصفه الأحسن لهم والأصلح لحالهم، هذا الأمر على هذا النحو فضلاً على أنه يشي بضرورة هذا الأسلوب في أخذ هذه الطبيعة الإسرائيلية،

<sup>16</sup> - عقيدة المسلم. محمد الغزالي ص ٢٠٦

<sup>17</sup> - الشفا في أحوال المصطفى ﷺ، للقاظم عياض ١٩٨/٢

التي أفسدها الذل وطول الأمد، بالعزم والجِد، لتحمل تكاليف الرسالة والخلافة، فإنه - كذلك - يوحى بالمنهج الواجب في أخذ كل أمة لكل عقيدة تأتيها.. إن العقيدة أمر هائل عند الله ﷻ، وأمر هائل في حساب الكون، وقدر الله الذي يصرفه، وأمر هائل في تاريخ الإنسان.. وأمر له هذه الخطورة عند الله، وفي حساب الكون، وفي طبيعة الحياة، وفي تاريخ الإنسان.. يجب أن يؤخذ بقوة، وأن تكون له جديته في النفس، وصراحته وحسمه، ولا ينبغي أن يؤخذ في رخاوة، ولا في ترخص، ذلك أنه أمر هائل في ذاته، فضلاً على أن تكاليفه باهظة لا يصبر عليها من طبيعته الرخاوة والتميع والترخص، أو من يأخذ الأمر بمثل هذه المشاعر.. وليس هذا - بطبيعة الحال - هو التشدد والتعنت والتعقيد والتقبض! فهذا ليس من طبيعة دين الله.. ولكن معناه الجد والهمة والحسم والصراحة.. وهي صفات أخرى ومشاعر أخرى غير مشاعر التشدد والتعنت والتعقيد والتقبض. لقد كانت طبيعة بني إسرائيل - بصفة خاصة - بعدما أفسدها طول الذل والعبودية في مصر، تحتاج إلى هذا التوجيه، لذلك نلاحظ أن كل الأوامر لبني إسرائيل كانت مصحوبة بمثل هذا التشديد وهذا التوكيد، تربية لهذه الطبيعة الرخوة الملتوية المنحرفة الخاوية، على الاستقامة والجِد والوضوح والصراحة<sup>١٨</sup>، ولقد مرت الأمة بمحاولات عقيمة لتوحيدها على مبادئ مستوردة فباعت بالفشل، مروراً بالوحدة العربية، والناصرية وغيرها من الأيديولوجيات الغربية على جسد هذه الأمة، ولذلك لفظها ذلك الجسد المريض ولم يقبلها، وأصبح راسخاً في الأذهان لدى أولي الألباب أن توحيد الأمة لا يمكن أن يؤتي ثماره بعيداً عن العقيدة، والتجارب خير برهان؛ فعندما توحدت الأمة على كلمة التوحيد عبر تاريخها كله كان لها النصر والغلبة، وكل ما تحتاجه الأمة هذه الفترة هي قيادة رشيدة تقدر المخاطر التي تحيق بها في الداخل والخارج، ثم

<sup>18</sup> - في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١٣٧٠.

توازن بين تلك المخاطر للعمل على لمّ الشعث على كلمة سواء وهي شريعة الله الخالدة، ولا شك أن سياسة الأمم تختلف باختلاف أحوال رعاتها وساستها، فالقوى منهم الشديد الغضب للحق كموسى عليه السلام يشعر بما لا يشعر به من يغلب عليه الحلم ولين العريكة كهارون عليه السلام.<sup>١٩</sup>

وأمتنا في هذه الأيام أشبه حالاً ببني إسرائيل عندما خرجوا من ذل العبودية لفرعون وقومه إلى حرية التعبد لله تعالى بإسلامهم مع موسى عليه السلام، وكثير من أخلاق بني إسرائيل التي خرجوا بها بعد ذل الأسر في أمتنا بعد سني الهوان تحت حكم أزاح شرع الله تعالى؛ بل ربما حاربه وحارب من نادى للرجوع إليه، لذا كان لزاماً على من يسوس الأمة في هذه الفترة أن يراعي المرحلة الحرجة التي تمر بها دون إخلال بشيء من أحوال الدين، فإن كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما حرصا على شيء - بعد التوحيد - حرصهما على تأكيد وحدة الأمة، ونبذ الاختلاف بين أبنائها.. ولعل مبادئ الإسلام ما نددت بشيء - بعد الإشراك بالله - تنديدها باختلاف الأمة وتنازعها، وما حضت على أمر - بعد الإيمان بالله تعالى - حضها على الوحدة والائتلاف بين المسلمين.. فإن الإسلام ما أكد على شيء مثل تأكيده على "كلمة التوحيد" و"توحيد الكلمة".<sup>٢٠</sup>

وبين هذين الركنين العظيمين "كلمة التوحيد" و"توحيد الكلمة" ينبغي أن يكون الجهد العظم للقيادة الرشيدة في الموازنة لسياسة الأمة عليها، فإن مطالب الإصلاح التي تغفل حاكمية الشريعة الإسلامية، وتهملها لتجمع الاتجاهات والتيارات الفكرية المختلفة، وتركز على الآليات الإجرائية فقط؛ تنقذ إلى الوعي الشرعي، والبصيرة بمنهج الأنبياء، فالاجتماع إنما يكون على المبادئ

<sup>١٩</sup> - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ٧٢/٩.

<sup>٢٠</sup> - أدب الاختلاف، طه جابر العلواني ٨-٩ باختصار.

والمنطلقات الشرعية، وهي أدوم في البقاء، وأما الأدوات الإجرائية فهي أوعية يمكن أن يمرر من خلالها الحق والباطل على حدٍّ سواء؛ كما أنها غير ثابتة، ويحصل فيها التغيير والتبديل، وقد قال تعالى: (قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران: ٦٤، فهذا توافق على مبدأ أصيل، بل هو أصل الأصول، وأما التوافق على أمر محتمل يمكن تنفيذه بشكل صحيح أو خاطئ؛ فهذا خلل في الإصلاح، وحتى حلف الفضول الذي يكثر الاستدلال به في هذا الباب فقد كان التوافق فيه على قيم موافقة للشرع، لا يروج الباطل من خلالها، فإطعام الجائع، ومساعدة الضعيف حق مطلب شرعي إصلاحي، ولكن لا يستقيم تطبيق ذلك على وسائل إجرائية يمكن استعمالها في الحق والباطل. ولو أن هذه المطالب الإجرائية ثم بناؤها على مبادئ تضبطها، ومنها: حاكمية الشريعة المطلقة؛ لكان في ذلك تحقيق لمصلحة عقدية كبرى؛ وهي دعوة للتيارات الفكرية للإذعان والتسليم لها، وإلزام لهم بذلك<sup>٢١</sup>.

#### ثانياً: عبادة بني إسرائيل العجل:

قال تعالى: (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين) الأعراف: ١٤٨، إنها طبيعة بني إسرائيل التي ما تكاد تستقيم خطوة حتى تلتوي عن الطريق.. لقد راودوا نبيهم من قبل أن يجعل لهم إلهاً يعكفون عليه بمجرد رؤيتهم لقوم وثنيين يعكفون على أصنام لهم! فصددهم نبيهم عن ذلك خاطر وردّهم ردّاً شديداً، فلما

<sup>21</sup> - الموازنة بين المصالح والمناسد وأثرها في الشأن المصري العام بعد الثورة، محمد عبد الواحد

خلوا إلى أنفسهم، ورأوا عجلًا جسدًا من الذهب- لا حياة فيه كما تفيد كلمة جسد- صنعه لهم السامري، واستطاع أن يجعله بهيئة بحيث يخرج صوتًا كصوت خوار الثور.. وإنها لصورة زرية البشرية تلك التي كان يمثلها القوم (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذه وكانوا ظالمين)، وهل أظلم ممن يعبد خلقًا من صنع أيدي البشر، والله خلقهم وما يصنعون؟! وكان فيهم هارون عليه السلام فلم يملك لهم ردًا عن هذا الضلال السخيف، وكان فيهم بعض عقلائهم فلم يملكو زمام الجماهير الضالة المتدافعة على العجل الجسد؛ وبخاصة أنه من الذهب معبود بني إسرائيل الأصيل. وأخيرًا هدأت الهيجة، وانكشفت الحقيقة، وتبين السخف، ووضح الضلال، وجاءت نوبة الندم والإقرار: (ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف ١٤٩، يقال: سقط في يده إذا عدم الحيلة في دفع ما هو بصدده من أمر.. ولما رأى بنو إسرائيل أنهم صاروا- بهذه النكسة- إلى موقف لا يملكون دفعه، وقع منهم وانتهى، قالوا قولتهم هذه: (لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)، وهذه المقولة تدل على أنه كان فيهم- إلى ذلك الحين- بقية من استعداد صالح.. فلما أن تبين لهم ضلالهم ندموا وعرفوا أنه لا ينقذهم من عاقبة ما أتوا إلا أن تدركهم رحمة ربهم ومغفرته، وهذه علامة طيبة على بقية من استعداد في الفطرة والصالح<sup>٢٢</sup>، وربما كانت بقية الصلاح هذه التي كانت فيهم أو في بعضهم هي التي حملت موسى عليه السلام فيما بعد على عتاب أخيه هارون عليه السلام في عدم استغلالها؛ بحيث يتحيز مع تلك الطائفة الباقية على الحق، أو تلك التي ندمت واستغفرت وإن كان لا يستطيع قتال البقية التي عبدت العجل؛ فلا أقل من أن يميز الصفوف، فيخرج

<sup>22</sup> - في ظلال القرآن ٣/١٣٧٣-١٣٧٤ باختصار



بمن بقي على الإسلام للحاق بموسى عليه السلام، وإن كان ينبغي عليه - وهو القائد - أن يأخذ على أيديهم، ويشد في النكير عليهم - كما يرى موسى عليه السلام - فإن ذلك هو عين الصلاح والإصلاح.

وعندما وقع قريب من هذا من بعض الصحابة مع النبي ﷺ، ما كان منه إلا أن عنفهم مغضباً، ومذكراً إياهم بما وقع من بني إسرائيل، وما كان من غضب نبي الله موسى عليه السلام عليهم، ومحرراً لهم من اتباع القرون، كما صح من حديث أبي واقد الليثي رحمه الله: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين؛ مرّاً بشجرة للمشركين يقال لها: "ذات أنواط"، يعلقون عليها أسلحتهم، ويعكفون حولها، قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال ﷺ: (سبحان الله! وفي رواية: الله أكبر - هذا كما قال قوم موسى عليه السلام: "اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة"، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم، سنة سنة) ٢٣، فقطع ﷺ وسأوس الشيطان عنهم بحزمه في ردّهم عن ذلك الخاطر، وذلك في أسلوب حاسم صريح لا يحتمل إلا معنى واحداً؛ وهو أن كل أنواع العبادات لا ينبغي أن تصرف إلا لله جلّ جلاله، ولا يتساهل في شيء منها تحت أي مسمى خادع، فإنهم وإن لم يقولوا (اجعل لنا إلهاً) بصريح اللفظ؛ إلا أن اتخاذهم لتلك الشجرة يفضي بهم - لا محالة - إلى عبادتها، واعتقاد النفع والضرر فيها، مما لا يكون إلا لله عزّ وجلّ.

ثالثاً: موقف هارون عليه السلام من عبادتهم العجل:

عندما ذهب موسى عليه السلام عجباً إلى لقاء ربه، استخلف أخاه هارون عليه السلام على بني إسرائيل، وأوصاه بالإصلاح فيهم، ومواجهة فسادهم وإفسادهم، فقال ﷺ:

<sup>23</sup> - سنن الترمذي ج ٢١٨٠ - مسند الإمام أحمد ح ٢١٩٤٧ (٥/٢١٨) - وقال الألباني:

صحيح (صحيح ظلال الجنة ح ٧٦) - المشكاة ح ٥٣٦٩.

(وواعدن موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) الأعراف: ١٤٢، وما أن فارقه موسى ﷺ حتى نكصوا على أعقابهم، وزين لهم السامري عبادة العجل، فاتخذوه إلهًا من دون الله ﷻ، فما كان من هارون ﷺ إلا أن قام بما أوجبه الله ﷻ عليه، وبما استخلفه فيه أخوه، فنهاهم وزجرهم أشد الزجر، وسجل له القرآن الكريم هذا الموقف الجليل في إنكاره عليهم، وما قالوه له من منكر القول وزوره؛ فقال ﷺ: (ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فأطيعوا أمري. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) طه: ٩٠ - ٩١، أي: إنما قدر الله ﷻ أمر هذا العجل وجعله يخور فتنة واختبارًا لكم، (وإن ربكم الرحمن)، أي: لا هذا، فاتبعوني فيما أقول لكم، وأطيعوا أمري، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى، فيشهد الله ﷻ لهارون ﷺ - وكفى بالله شهيدًا - أنه نهاهم وزجرهم عن ذلك فلم يطيعوه ولم يتبعوه<sup>٢٤</sup>، ولقد أخذهم بالرفق واللين فقال لهم: "يا قوم إنما فتنتم به"، يقول: إنما اختبر الله ﷻ إيمانكم ومحافظةكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيهم الخوار؛ ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب الشاك في دينه.. "وإن ربكم الرحمن" الذي يعمُّ جميع الخلق نعمه، فاتبعوني على ما أمركم به من عبادة الله ﷻ، وترك عبادة العجل، "وأطيعوا أمري" فيما أمركم به من طاعة الله ﷻ، وإخلاص العبادة له.<sup>٢٥</sup>

وهكذا كان حال هارون ﷺ، فإن الإنسان يجب أن يكون رقيق القلب مشفقًا على أبناء جنسه، وأي شفقة أعظم من أن يرى جمعًا يتهافون على النار

<sup>24</sup> - البداية والنهاية، لابن كثير ١/٢٩٦ - قصص الأنبياء لابن كثير ٣١٣ - ٣١٤.

<sup>25</sup> - تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري ١٦/٢٣٥.

فيمنعهم منها<sup>٢٦</sup>، فلو لم يشتغل هارون عليه السلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان مخالفاً لأمر الله تعالى، ولأمر موسى عليه السلام وذلك لا يجوز.. وقد سلك هارون عليه السلام في هذا الوعظ أحسن الوجوه؛ لأنه زجرهم عن الباطل أولاً بقوله: "إنما فتنتم به"، ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى ثانياً بقوله: "وإن ربكم الرحمن"، ثم دعا ثالثاً إلى النبوة بقوله: "فاتبعوني"، ثم دعاهم رابعاً بقوله: "وأطيعوا أمري"، وهذا الترتيب الجيد؛ لأنه لا بد قبل كل شيء من إمطة الأذى عن الطريق، وهو إزالة الشبهات، ثم معرفة الله تعالى؛ فإنها هي الأصل، ثم النبوة، ثم الشريعة، فثبت أن هذا الترتيب أحسن الوجوه<sup>٢٧</sup>.

ثم إن هارون عليه السلام رأى القوم متهافتين على النار، ولم يبال بكثرتهم ولا بقوتهم، بل صرح بالحق.. وما منعه التقية في مثل هذا الجمع، بل صعد المنبر وصرح بالحق، ودعا الناس إلى متابعة نفسه، والمنع من متابعة غيره.. وإنما قال: "إن ربكم الرحمن"، فخص هذا الموضوع باسم "الرحمن"؛ لأنه ينبؤهم بأنهم متى تابوا قبل الله تعالى توبتهم؛ لأنه هو الرحمن الرحيم<sup>٢٨</sup>، لكنهم أعرضوا عنه وقالوا: "لن نبرح عليه عاكفين"، وهموا بالإيقاع بهارون عليه السلام والفتك به، وكان هذا مما اعتذر به هارون لموسى عليهما السلام؛ فقال: (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) الأعراف: ١٥٠، يعني بالقوم: الذين عكفوا على عبادة العجل.. وخالفوا هارون عليه السلام، وكان استضعافهم إياه تركهم طاعته واتباع أمره<sup>٢٩</sup>.

26 - تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، الفخر الرازي ١٠٦/٢٢.

27 - اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي ٣٦١/١٣ وقريب منه الرازي ١٠٦/٢٢.

28 - تفسير الرازي ١٠٦/٢٢.

29 - تفسير الطبري ٨٢/٩-٨٣.

إن هارون عليه السلام قد تفاجأ بعدم استجابة بني إسرائيل لندائه، وعدم انتهائهم عن المنكر، بل قد هددوه بالقتل، وخشي أنه إذا بالغ في إنكار المنكر أن يؤدي إلى منكر أكبر منه وهو الفرقة والخلاف بين بني إسرائيل، فرأى أن من الأولى تركهم حتى يرجع موسى عليه السلام، فقال معتذراً لأخيه: "إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني"، فهو لم يأل جهداً في كفهم بالوعظ والإنذار، وبما بلغت طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهره واستضعفوه، ولم يبق إلا أن يقتلوه<sup>٣١</sup>، ودلّ هذا على أنه بالغ في الإنكار عليهم، حتى هموا بقتله<sup>٣٢</sup>، فدلّت الآية على أنه لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المنكر أن يسكت<sup>٣٣</sup>، وحاصل اعتذاره عليه السلام: "إني رأيت الإصلاح في حفظ الدماء، والمداراة معهم، وزجرهم على وجه لا يخل به أمر انتظامهم واجتماعهم، ولا يكون سبباً للومك إياي؛ إلى أن ترجع إليهم فتكون أنت المتدارك للأمر حسبما تراه، لا سيما والقوم قد استضعفوني وقربوا من أن يقتلونني"<sup>٣٤</sup>، فكان هذا حقيقة موقف هارون عليه السلام في موازنته في الإنكار على قومه، فلقد كان بين أمرين إما الإنكار عليهم بقدر طاقته وجهده، وإما السكوت والإغضاء عما هم فيه من الباطل، وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن هارون عليه السلام لم يسكت على باطلهم - وما ينبغي له - وليس كما قال أحد الدعاة البارزين: أنه سكت على ارتكاب الشرك الأكبر، وعبادة العجل الذي فتتهم به السامري، حفاظاً على وحدة الجماعة، وخشية من تفرقها، وهي خشية موقوتة بمدة غياب موسى عليه السلام، حتى إذا عاد تفاهم الأخوان

٣٠ - فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة ص ٨٨.

٣١ - تفسير الكشاف، الزمخشري ٥١٢/٢.

٣٢ - تفسير البحر المحيط، لأبي حيان ٣٩٤/٤.

٣٣ - تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي ٣٤١/٩.

٣٤ - تفسير الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي ٢٥٢/١٦.

الرسولان في كيفية مواجهة الأزمة<sup>٣٥</sup>، فإن من الجائز - بل من المطلوب - شرعاً السكوت على المنكر مخافة وقوع منكر أكبر منه، احتمالاً لأهون الشرين، وارتكاباً لأخف الضررين، كما تقرر ذلك في القواعد الشرعية، ومن الأدلة الخاصة لذلك ما ذكره القرآن الكريم - ههنا - عن نبي الله هارون أخي موسى عليهما السلام وشريكه في الرسالة إلى فرعون وقومه.. فهنا يعتبر هارون عليه السلام الحفاظ على وحدة الجماعة، حتى يعود زعيمها الأول، حجة له في السكوت على ضلال القوم، حتى لا يقول قائل: إنه تعجل القرار، وفرق الجماعة، ولم ينتظر عودة موسى عليه السلام<sup>٣٦</sup>.

وليس هذا موطن التفصيل في صواب اجتهد هارون عليه السلام أو خطئه، وإنما في كلام فضيلة الدكتور عن سكوت هارون عليه السلام على ضلال القوم، مع أن القرآن الكريم صريح في ذكر إنكار هارون عليه السلام عليهم، وتشديه في ذلك، وقد سبق ذكر ما قاله أئمة التفسير وغيرهم في موقف هارون عليه السلام، وأما قول فضيلته: إن من الجائز - بل من المطلوب - شرعاً السكوت على المنكر مخافة وقوع منكر أكبر منه.. إلخ، فهذا مما لا يختلف فيه، لكن تحقيق مناط هذا الكلام يقتضي القول بأن الشرك بالله ﷻ أكبر منكر إذا ما قورن بغيره من المنكرات حتى وإن كان تفرق الأمة، وسيأتي تفصيل ذلك في الموازنة بين موقفين النبيين الكريمين، وربما يكون فضيلته موافقاً لبعض أئمة التفسير الذين قال بعضهم: إن موسى فعل ذلك بأخيه لكونه لم ينكر على السامري ولا غيره ما رآه من عبادة

<sup>35</sup> - الصحوه بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم. يوسف القرضاوي ص ٣٠

<sup>36</sup> - الصحوه الإسلامية بين الجحود والتطرف، يوسف القرضاوي ١٨٧-١٨٨ باختصار وكرر

نفس المعنى في كتاب من فقه الدولة في الإسلام ص ١٢٧- ص ١٨٠-١٨١ وغير ذلك من كتب فضيلته.

بني إسرائيل للعجل<sup>٣٧</sup>، ولكن ما شهد به القرآن الكريم لهارون عليه السلام في الكفاية في ردّ مثل هذا القول على قائله.

رابعاً: موقف موسى عليه السلام :

عندما رجع موسى عليه السلام ورأى ما صنع قومه، أقبل على أخيه وخليفته فيهم وقال: (يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا. ألا تتبعن أف عصيت أمري) طه: ٩٢-٩٣، أي: هلاًّ لمّا رأيته ما صنعوا اتبعته فأعلمتني بما فعلوا<sup>٣٨</sup>، وكان بموسى عليه السلام من الغضب ما جعله أخذ برأس أخيه ولحيته: (قال بينوّم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) طه: ٩٤، وكان ذلك لموجدته على أخيه هارون عليه السلام في ترك اتباعه، وإقامته مع بني إسرائيل في هذا الموضع الذي تركهم فيه<sup>٣٩</sup>، وكان بموسى عليه السلام من الغضب ما الله به عليم، مع أن الله سبحانه كان قد أخبره خبر القوم وما أتوا، ولكن كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس الخبر كالمعاينة، إن الله سبحانه أخبر موسى عليه السلام بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت<sup>٤٠</sup>، ولقد عاد موسى عليه السلام إلى قومه غضبان أشد الغضب، يبدو انفعال الغضب في قوله وفعله، يبدو في قوله: (بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه) الأعراف: ١٥٠، ويبدو في فعله إذ يأخذ برأس أخيه يجره إليه

٣٧ - تفسير فتح القدير للشوكاني ٣/٥٣، مع أن المفسر ذاته هو الذي قال في "طه" في قوله تعالى "ولقد قال لهم هارون من قبل" الجملة مؤكدة لما تضمنته الجملة التي قبلها من الإنكار عليهم والتوبيخ لهم (فتح القدير ٣/٥٢٢).

٣٨ - البداية والنهاية ابن كثير ١/٢٩٥.

٣٩ - تفسير التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور ٤/١١٦.

٤٠ - مشكاة المصابيح ح ٥٧٣٨ - صحيح الجامع ح ٥٣٧٣ - الجامع الصغير وزيادته ح ٥٣٧٤

ويعنفه، وهي حركة تدل على شدة الانفعال، فهذه الألواح هي التي كانت تحمل كلمات ربه ﷻ، وهو يلقبها إلا وقد أفقده الغضب زمام نفسه، وكذلك أخذه برأس أخيه يجره إليه، وأخوه هو هارون العبد الصالح الطيب.<sup>41</sup>

لقد رجع موسى ﷺ إلى قومه غضبان أسفاً، فسمع منهم حجتهم التي تكشف عن مدى ما أصاب نفوسهم من تخلخل، وأصاب تفكيرهم من فساد، فالتفت إلى أخيه وهو في فورة الغضب، يأخذ بشعر رأسه وبلحيته في انفعال وثورة.. يؤنبه على تركهم يعبدون العجل، دون أن يبطل عبادته، اتباعاً لأمر موسى ﷺ بألا يحدث أمراً بعده، ولا يسمح بإحداث أمر، ويستتكر عليه عدم تنفيذه.. ثم يتجه موسى ﷺ بغضبه وانفعاله إلى السامري صاحب الفتنة من أساسها، إنما لم يتوجه إليه منذ البدء؛ لأن القوم هم المسئولون ألا يتبعوا كل ناعق، وهارون ﷺ هو المسئول أن يحول بينهم وبين اتباعه إذا هموا بذلك وهو قائدهم المؤمن عليهم، فأما السامري فذنبه يجيء متأخراً؛ لأنه لم يفتنهم بالقوة ولم يضرب على عقولهم، إنما أغواهم فغفوا، وكانوا يملكون أن يثبتوا على هدي نبيهم الأول، ونصح نبيهم الثاني، فالتبعة عليهم أولاً، وعلى راعيهم بعد ذلك، ثم على صاحب الفتنة والغواية أخيراً.<sup>42</sup>

### المبحث الثاني:

أولاً: تحرير محل النزاع بين موسى وهارون عليهما السلام:

لقد كان اعتذار هارون ﷺ عن بقائه بين القوم بقوله: (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) طه: ٩٤، أي: تظن ذلك بي فنقله لوماً وتحملاً لتبعة الفرقة التي ظن أنها واقعة- لا محالة- إذا أظهر غضبه

41 - في ظلال القرآن ١٣٧٤/٣.

42 السابق ٢٣٤٨/٤.

عليهم؛ لأنه يستتبعه طائفة من الثابتين على الإيمان، ويخالفهم الجمهور، فيقع انشقاق بين القوم، وربما اقتتلوا، فرأى من المصلحة أن يظهر الرضى من فعلهم ليهدأ الجمهور، ويصبر المؤمنون اقتداءً بهارون عليه السلام، ورأى في سلوك هذه السياسة تحقيقاً لقول موسى عليه السلام : (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) الأعراف: ١٤٢، وهذا اجتهد منه في سياسة الأمة؛ إذا تعارضت عنده مصلحتان، مصلحة حفظ العقيدة، ومصلحة حفظ الجامعة من الهرج، وفي أثائها حفظ الأنفس والأموال والأخوة بين الأمة، فرجح الثانية، وإنما رجحها لأنه رآها أدام، فإن مصلحة حفظ العقيدة يستدرك فواتها الوقتي برجوع موسى عليه السلام، وإبطاله عبادة العجل.. بخلاف مصلحة حفظ الأنفس والأموال واجتماع الكلمة، إذا انثلمت عثر تداركها<sup>٤٣</sup>، فكان هارون عليه السلام خاف أن يسير بمن أطاعه وأقام على دينه في أثر موسى عليه السلام، ويخلف عبدة العجل، وقد قالوا له: (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) طه: ٩١، فيقول له موسى عليه السلام: (فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) طه: ٩٤، بسيرك بطائفة، وتركك منهم طائفة وراءك. وقال آخرون: بل معنى ذلك: خشيت أن نقتل فيقتل بعضنا بعضاً..<sup>٤٤</sup> فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك، المتلافي برأيك، وخشيت عتابك على أطراح ما وصيتني به من ضم النشر، وحفظ الدهماء، ولم يكن لي بدٌّ من رُقبة وصيتك، والعمل بموجبها<sup>٤٥</sup>، حين قلت: "خلفني في قومي وأصلح"،

٤٣ - التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩٣/٧ - ٢٩٤.

٤٤ - الطبري ٢٣٥/١٦

٤٥ - الكشاف للزمخشري ١٠٥/٤.



فإن الإصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة لهم، أن ترجع إليهم فتتدارك الأمر برأيك<sup>٤٦</sup>.

فجملة ما اعتذر به هارون عليه السلام هو أنه خشي فرقة الأمة، واقتتالها فيما بينها، وما يستتبع ذلك من هلاك الأنفس والأموال، وكل ذلك دون أن يقصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بله أن يقال أنه أظهر الرضى لبهداً الجمهور، فأنى لنا القول على هارون عليه السلام أنه أظهر الرضا على شرك القوم، فإن ذلك لم يكن ولم يقع منه عليه السلام. ثم إنه اعتذر كذلك بخشيته على نفسه القتل بعد ما شدد عليهم في الإنكار، (قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) الأعراف: ١٥٠

أما موسى عليه السلام فإنه عندما أخذ بشعر أخيه يجره إليه بذوابته، وذلك ظناً بأخيه أنه فرط في الكف<sup>٤٧</sup>، حيث كان يرى أن مفارقة هارون عليه السلام لهم، وخروجه من بينهم بعد تلك النصائح القولية يكون أضر لهم من الاقتصار على النصائح وحدها، لما في ذلك من الدلالة على شديد الغضب والإنكار عليهم، فإن مفارقة الرئيس المحبوب لديهم من أجل أمر مبغوض لديهم مما تشق على النفوس، وتقتضي ترك ذلك الأمر الذي يكرهه<sup>٤٨</sup>.

وربما يكون من الشواهد على واقعية ذلك وفاعليته ما حصل من نبي الله يونس عليه السلام عندما فارق قومه مغضباً بسبب إصرارهم على الكفر، فما كان منهم إلا أن تابوا إلى رشدهم ودخلوا في دين الله تبارك وتعالى كلهم، وإن كان الله تبارك وتعالى قد عتب

٤٦ - تفسير البياضوي ٥٦/٢ - وقريب منه القرطبي ١٢٦/١٤ - المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٥/٦ -

والبحر المحيط ٢٥٤/٦.

٤٧ - البحر المحيط ٣٩٤/٤.

٤٨ - تفسير المراغي ١٤٤/١٦.

على يونس عليه السلام هذا الفراق لهم وعدم صبره، إلا أن ما فعله قد أتى ثمرته مع قومه؛ وذلك لأن مخالفة أهل الإيمان لأهل الكفر والشرك والنفاق خلاف واجب، لا يمكن لمؤمن أن يتخلى عنه، أو يدعو لإزالته؛ لأنه خلاف سداه الإيمان ولحمته الحق<sup>٤٩</sup>، ومن هنا كان توجيه موسى عليه السلام لأخيه شديداً فقال له زاجراً: ما منعك أن تتبعني في الغضب لله ﷻ، وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي؟ أو مالك لم تلحقني؟!<sup>٥٠</sup>

إن موسى عليه السلام عندما يقول ذلك لأخيه فهو كلام العالم الخبير بأولئك القوم، وقد كانت له سلفة معهم شهداها هارون عليه السلام معه، وتلك السلفة هي طلبهم أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه كأولئك القوم الذين رأوهم.. عاكفين على أصنام لهم، فقالوا: (يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) الأعراف: ١٣٨، فكان هذا موقفاً عملياً قد وقع أمام ناظري هارون عليه السلام، رأى فيه كيف عالج موسى عليه السلام اعوجاج قومه وانحرافهم عن الجادة، وكان هذا العلاج بشكل صارم وحكيم، حيث لا ينفع مع أولئك إلا حزم موسى عليه السلام وشدته، وبخاصة مع شدة الانحراف الذي وقعوا فيه. لذلك كان من الواجب على هارون عليه السلام في اجتهد موسى عليه السلام أن يردعهم ويكفهم عن عبادة العجل - إن قدر - كما فعل هو بعد ذلك بتحريقه وإلقائه في النيران، أو أن يتبعه إلى جبل الطور - إن لم يقدر -<sup>٥١</sup>

### ثانياً: الموازنة بين الموقفين:

عند النظر في موقفي هذين النبيين الكريمين، ووجهة نظر كل منهما، يجد الباحث المدقق أن لكل مبرراته وحججه التي من خلالها اتخذ هذا الموقف،

49 - أدب الاختلاف للعلواني ص ٢٨.

50 - الكشاف ١٠٥/٤.

51 - تفسير المنار ٢٠٨/٩.

واجتهد في الإصلاح والمحافظة على وحدة الأمة. فبينما نرى هارون عليه السلام يجتهد في لمّ الشمل، ورأب الصدع الذي حصل بانحراف البعض بعبادتهم العجل، محاولاً توحيد الصف حتى وإن شابه هذا الفساد، وأصابه ذاك الخطب الجلل، فيبقى ما هو أهم وهو الإبقاء على هذه الأمة موحدة، تحت قيادة واحدة؛ وذلك كله إلى حين، وبخاصة أن ذلك الحين موقوت بعودة موسى عليه السلام وهو قريب، فما هي إلا أيام معدودات حتى يرجع إليهم، فيعيدهم إلى رشدهم، وما ذلك عليه بأمر جديد، حيث كانت له سאלفة يذكرونها جميعاً كما يذكرها هارون عليه السلام.

كان هذا اجتهد هارون عليه السلام في قيادته ورؤيته في الإبقاء على الأمة موحدة على عينه، وهو اجتهد له وجاهته وقوته؛ إذ هو خير من الفرقة والخلاف الذي إذا دبّ بين أبناء الأمة الواحدة أفضى إلى شرور كثيرة؛ قد يفضي إلى الاقتتال وسفك الدماء وهلاك الحرث والنسل. ويكفي لمعرفة أضرار الاختلاف وخطورته أنه عليه السلام عدّ الاختلاف أكبر خطراً، وأشدّ ضرراً من عبادة الأوثان.. فجعل من خوف الفرقة والاختلاف بين قومه عذراً له في عدم التشديد في الإنكار، ومقاومة القوم والانفصال عنهم حين لا ينفع الإنكار<sup>52</sup>. فوازن هارون عليه السلام بين مفسدتين: مفسدة البقاء على عبادة العجل إلى أن يرجع موسى عليه السلام، ومفسدة تفرّق بني إسرائيل وخلافهم، فأعطى الأولوية للبقاء على الشرك إلى حين يرجع موسى عليه السلام فيعالج الأمر.. فإن وحدة المسلمين ووحدة صفهم أولى من التشبث والتمسك ببعض القضايا الفرعية والجزئية<sup>53</sup>. ومن فقه

52 - أدب الاختلاف للعلواني ص 31

53 - غفر الله لقائله. فمتى كان التوحيد من القضايا الفرعية والجزئية؟! وما الذي كان يدعو إليه

كل الأنبياء والمرسلين أقوامهم، بل وكانوا يقاتلونهم لأجله!!

الأولويات في الخلاف أن المسلم قد يترك الفاضل ويفعل المفضول من باب التأليف والتقريب<sup>٥٤</sup>.

أما بالنسبة لاجتهاد موسى عليه السلام الذي أداه إلى الإنكار على أخيه في موقفه هذا؛ فإنه ينطلق من رؤيته لأهمية المحافظة على أصل الأصول، وأول المهمات المطلوبة من كل العباد، والذي لا يصلح اجتماع أمة من الأمم إلا عليه، فإذا لم يتحقق فلا معنى لاجتماع على مبدأ آخر سواء مهما علا قدره، فكل مبدأ سوى العقيدة هو مبدأ أرضي زائل، فلا الجنس، ولا اللون، ولا الأرض، ولا الدم يصلح لأن يكون هو المبدأ الرئيس لاجتماع أمة قائدها رسول من رسل الله ﷺ، طالما أنهم لم يحققوا المبدأ الأول والأهم والأعلى؛ ألا وهو توحيد كلمتهم على كلمة التوحيد، ثم تأتي بعد ذلك هذه المبادئ الأرضية في مرتبة ثانية، أو الثالثة، أو عشرة بعد هذا الركن الركين.

وأمام هذين الموقفين من دينكما النبيين الكريمين، ربما يطمئن الباحث بباديء النظر أن الاجتهاد الذي أخذ به هارون عليه السلام هو اجتهاد قوي وجدير بأن يتبع؛ لما فيه من حفظ مصالح كثيرة، ودرء مفسدات كثيرة. ففيه حفظ الأنفس والأموال والوحدة، ودرء أضرار هذه الأمور من المفسدات التي يجرُّ إليها التفرق والافتتال، وهذه عبارات لها وزنها في الميزان الشرعي؛ ولكن وزنها يخفُّ ويتضاءل إذا كان في حفظها ضياع العقيدة التي هي أصل الدين. والعقيدة هي التي أنقذت بني إسرائيل وأخرجتهم من حياة النقتيل والذلِّ والعبودية، فإذا سقطوا في حماة الوثنية فإنهم عائدون - لامحالة - إلى ما كانوا عليه - ولو بعد حين - ثم أيُّ قيمة لنفوس تعبد صنماً مصنوعاً؟! ثم أين حفظ الأموال في تصرفهم؛ وقد جمعوا

<sup>54</sup> - فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة ص ٨٩ - ٩٢ باختصار شديد. (ولا يسلم مثل هذا

لقائله، وسيأتي مزيد بيان له لاحقاً).

ثروة كبيرة من حليهم وصنعوا منها معبودهم؟ هل من إضاعة للمال أسوأ من هذه؟!

وهكذا يظهر من المثال الذي قصه الله ﷻ علينا أن حفظ الدين - وخاصة أصله المتمثل في توحيد الله ﷻ اعتقاداً وعبادة - مقدّم، وأنه أولى بالحفظ عند التعارض، ولو كان في ذلك إلتاف بعض الأنفس وبعض الأموال<sup>55</sup>.

ومما قد يرجح اجتهاد موسى عليه السلام أن الله ﷻ جعل توبتهم من الذي صنعوه وابتدعوه أن يقتل من لم يعبد العجل منهم من عبده، فجعل بعضهم يقتل بعضاً<sup>56</sup>، فقال الله ﷻ فيهم: (وإذ قال موسى لقومه يقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) البقرة: ٥٤، فأوقع الله ﷻ بهم على وجه الإلزام والحثم ما كان يخشاه هارون عليه السلام من قبل ويتحاشاه، فقتلوا أنفسهم، وأضاعوا أموالهم، وفرقوا كلمتهم - من قبل - بعصيانهم قائدهم، فوقع كل ما كان يحذره هارون عليه السلام عليهم، وظهر صواب اجتهاد أخيه موسى عليه السلام.

ومما يستأنس به في ترجيح موقف موسى عليه السلام وتصويب اجتهاده - إضافة إلى ما سبق - ما أشار إليه القرآن الكريم من استغفاره في ثانياً هذا الموقف، فقال تعالى مخبراً عنه: (قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) الأعراف: ١٥١، وجاء هذا الاستغفار له ولأخيه ليثير سؤالاً وجيهاً عن سبب هذا الاستغفار، وما الموجب له، وبخاصة استغفاره لأخيه؟ مع أنه في ظاهر الأمر لم يقع منه ما يستوجب مثل هذا الاستغفار؛ بخلاف موسى عليه السلام نفسه، إذ كان موقفه من إلقاء الأنواح التي كتبها الله ﷻ له حتى انكسرت

<sup>55</sup> - نظرية التقريب والتغليب، أحمد الريسوني ص ٣٥٤-٣٥٥

<sup>56</sup> - عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد شاكر ١/٥٩٦

يستوجب استغفاراً ظاهراً، ناهيك عن أخذه برأس أخيه ولحيته يجره إليه؛ وهو أخوه الأكبر الذي لم يألُ جهداً في المحافظة على الأمة والنصح لها، كل ذلك قد كان من موسى عليه السلام مع أنه قد كان أخبره ربه ﷻ ما وقع فيه قومه من عبادة العجل، فقال تعالى: (قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) طه: ٨٥

إن موسى عليه السلام كان هو الرسول لبني إسرائيل، وما هارون عليه السلام إلا من جملة قومه بهذا الاعتبار، وإنما كان هارون عليه السلام رسولاً مع موسى عليه السلام لفرعون خاصة، لذلك لم يسع هارون عليه السلام إلا الاعتذار والاستصفاح منه<sup>٥٧</sup>، فقال له: (ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) الأعراف: ١٥٠، (يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) طه: ٩٤، فما كان من موسى عليه السلام إلا أن أخذته الشفقة بأخيه، ورأى أنه ربما كان قد قسا عليه وأفرط في مؤاخذته وعتابه بالقول والفعل، فطلب الغفران لنفسه لأنه يحسُّ - كما يحسُّ الأبرار - بقصور نفسي من تقصير حقيقي، ولأنه ألقى التبعة على أخيه، وما قصر أخوه، وأن يغفر لأخيه إذا كان لم يحملهم على الجادة، ولم يمنعهم عن غيِّهم<sup>٥٨</sup>، فقال: (رب اغفر لي ولأخي)، وذلك ليرضي أخاه وينفي الشماتة عنه بإشراكه معه في الدعاء، والمعنى: اغفر لي ما فرط مني في حق أخي، ولأخي إن كان فرط في حسن الخلافة<sup>٥٩</sup>.

57 - التحرير والتنوير ١١٦/٤

58 - زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢٩٥٨/٩

59 - تفسير النسفي ٤٤٢/١ - الكشف ٥١٢/٢ - البحر المحيط ٣٩٥/٤ - زاد المسير ٢٦٤/٣ -

محاسن التأويل ٢٨٦٢/٧ - اللباب ٣٢٧/٩ - المحرر الوجيز ٥٤/٤ - الرازي ١٤/١٥ - زهرة التفاسير ٢٩٥٨/٩ وغيرها من كتب التفسير أشارت إلى هذا المعنى في علة استغفاره لأخيه.

وعود على بدء؛ إذا كان قد بدا واضحاً سبب استغفار موسى ﷺ لنفسه، فما الذي حمله ﷺ على الاستغفار لأخيه؟ وما وجه التقصير أو الخطأ الذي استوجب هذا الاستغفار؟ ولو لم يكن لاستغفار موسى ﷺ لأخيه وجه من التعليل، فهل كان سيسكت عنه القرآن دون ردّه وتقنيده؟ لأنه من المستحيل أن يكون هذا الاستغفار لغواً لا معنى له!! وطالما أن هارون ﷺ قام بالقدر الواجب عليه من النصيحة كما حكى القرآن عنه، فأين وجه تقصيره الذي لأجله استغفر له أخوه؟

إن الذي يظهر من استغفار موسى ﷺ لأخيه أنه كان من جهة تقصيره في سياسة القوم، وعدم ردهم بما يكفي في قطعهم عن ذلك الانحراف الذي وقع منهم، فإن استطاع ذلك وإلا فارقهم بمن أطاعه ليلحق بموسى ﷺ، فإنه لا ينبغي البقاء معهم بعد كفرهم؛ حيث لا يلتقي كفر وإيمان في مكان واحد - من وجهة نظر موسى ﷺ واجتهاده - وعليه فإن أي مفاوضة أو مساومة تنتهي بالتخلي عن هذا الدين، أو تطالبنا بالمساومة على المبدأ أو العقيدة فهي مرفوضة، وكل تحالف يقود إلى هذه النتيجة بأن نقدم جزءاً من إسلامنا، ونتخلى عن الدعوة لشيء منه، ونترك البعض الآخر بصفته شرطاً يتوقف عليه التحالف هو مرفوض في الإسلام<sup>60</sup>، وقد ظهر هذا جلياً في موقف الأزهر والإسلاميين في مصر من الدستور، حيث أصروا على مادة الشريعة الإسلامية باعتبارها المصدر الرئيس للتشريع، مع رفض التيار المدني العلماني ومعه الأقباط لهذه المادة وتفسيرها، وقد حاولوا جاهدين بشتى الطرق أن يزيحوا هذه المادة، أو يبطلوها، أو يبطلوا تفسيرها، لكن الله ﷻ هياً لها رجالاً أخذوا على عاتقهم مسئولية تاريخية أمام الله ﷻ أولاً، ثم أمام أمتهم الإسلامية، فقاموا بما أوجبه الله ﷻ عليهم من التمسك بأن تبقى هذه المادة صريحة معبرة بشكل لا

60 - التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان ص 38 - 39

التباس فيه عن هوية الأمة، دون التفات لصيحات العلمانيين واليساريين والأقباط وغيرهم ممن كان يقف حائلاً دون ذلك، وكانوا في ذلك ممتمنين لما أمرهم به دينهم، وقد فتح هذا الموقف المجال رحباً واسعاً أمام الأمة لتقنين وتطبيق الشريعة في قابل الأيام، وذلك لأنه ليس من حق الحركة الإسلامية - حتى - وهي في حالة الضعف أن توقع على ميثاق أو تحالف يقيد تطبيق الإسلام بحجة رغبة الشعب والأكثرية، لأن ميزان الحق واضح، ولكن هذا لا يعني أن الطريق مسدود أمام الدبلوماسية الإسلامية في هذا المجال، إنها تستطيع أن تتجنب الكلمات المحددة الصلبة، وتتحرك في إطار الكلمات المرنة التي لا تدينها، مثل الشورى، والحرية السياسية، والنظام الذي يمثل إرادة الأمة حين تنبثق من شريعة الله ﷻ، إلى غير هذه التعبيرات الواسعة المدى، التي تجعلها في كل إطار تنتهي إلى أن الحق النهائي في الأمر هو لشريعة الله ﷻ<sup>61</sup>، ولذا لم يفرط القائمون على الدستور المصري من الإسلاميين في ثوابت عقديّة رئيسة، كتلك التي تتكلم عن الديمقراطية، فعملوا على تقييد المفهوم الغربي لها باللفظ الشرعي الصحيح، فجاءت المادة السادسة من الدستور تنص على أن (يقوم النظام السياسي على مبادئ الديمقراطية والشورى)، وفيما يتعلق بجانب الشريعة والمراد بلفظة "مبادئ" قاموا بتفسيرها في مادة مستقلة تبين مفهومها بجلاء ووضوح؛ فنصت المادة (٢١٩) من الدستور على أن (مبادئ الشريعة الإسلامية تشمل أدلتها الكلية، وقواعدها الأصولية والفقهية، ومصادرها المعتمدة في مذهب أهل السنة والجماعة)<sup>62</sup>.

61 - التحالف السياسي، منير الغضبان ص ٤٦ - ٤٧

62 - نسخة إلكترونية من "الدستور المصري" ص ٤٦



ولا يعني ترجيح الباحث لموقف موسى عليه السلام الذي أداه إليه اجتهاده على موقف هارون عليه السلام أن في هذا تخطئة لهارون عليه السلام، ولكن قد يكون الترجيح بين فاضل ومفضول، واختيار خير الخيرين، وإلا فإن اجتهاد هارون عليه السلام - لا شك - له اعتباره ووجاهته، وبخاصة أنه رجح المصلحة الممتدة زمناً، فأعطى بذلك مندوحة للحركة الإسلامية ولمجتهديها سعة في المفاضلة بين الأولويات، وبخاصة مع حال الاستضعاف الذي تحياه الأمة اليوم.

ولا يعني هذا أننا نفرط في قضايا العقيدة الرئيسة التي لا يجوز التساهل فيها؛ لأنها أصل الدين، فإن الخلاف المحتمل شيء، والخلاف الذي لا يحتمل شيء آخر، فالأول لا يفسد الدين، ولا يخرج من الملة، والثاني ليس كذلك<sup>٦٢</sup>، فالبون شاسع بين تأجيل شيء من أحكام الشريعة وبين ترك شيء من أصولها، فالأولى تحتمل التأخير لتربية الأمة عليها - مثلاً - أو لعدم مناسبة الأوضاع الداخلية أو الخارجية لتطبيقها الفوري، أما الأصول فإن النبي ﷺ لم يتنازل عن شيء منها يوم أن كانت الدعوة في أشد حالات استضعافها، وقد ذكر الله ﷻ شيئاً من تلك المساومات التي وقعت في مكة فقال ﷻ: (ودوا لو تدهن فيدهنون) القلم: ٩، وغير ذلك من الآيات التي بقيت نبراساً للأجيال المسلمة، تهديها في طريقها إلى الله ﷻ دون أن تتنازل عن شيء من دينها الذي ارتضاه الله ﷻ لها.

63 - - معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، مناع القطان ص ١٦٩ - ١٧٠

### الخاتمة: أهم نتائج البحث وتوصياته:

١. فقه الموازنات بين المصالح المختلفة من العلم الضروري الذي ينبغي العناية به، وإبراز أهميته في هذا العصر.
٢. هذا الفقه له أصوله وقواعده التي بيّنتها الشريعة الغراء، وليس المرجع فيه للأهواء والأمزجة.
٣. للإمام بهذا الفقه لابد من الإلمام بأصول علمين عظيمين؛ وهما: علم أصول الفقه، وعلم أصول التفسير، وعليه فإن من الخطورة بمكان إفساح المجال للحديث فيه لمن ليس مؤهلاً في هذين الجانبين من العلم الشرعي ابتداءً.
٤. كما يحتاج ذلك إلى الإحاطة بما يدور في واقع المسلمين؛ حتى يتمكن الباحث من إسقاط نتائج الدراسة المبنية على الأصلين السابقين؛ بما يخدم مصلحة الأمة والفرد على السواء.
٥. هذا العلم قديم قدم البشرية، وليس أمراً محدثاً، لأنه مما تقتضيه العقول القويمة، والفطر السليمة، وعليه فلا يجوز أن نقطعه عن المسيرة البشرية الطويلة الممتدة في غابر الزمن، بل ينبغي الاستفادة منه في حاضرنا، فإن التاريخ - كما يقال - يعيد نفسه، فما وقع لنبي أو لا ينتهي بانتهاء زمنه، وإنما تبقى العبرة والعظة التي يهتدي إليها من وفقه الله ﷺ لذلك.
٦. من أهم الكتب التي تعرضت لهذا الفقه بالشرح والتحليل كتب التفسير، وبخاصة علماء التفسير الذين لهم تعلق بعلم أصول الفقه كالرازي، والشوكاني، والشنقيطي، والسعدي، ورشيد رضا، والطاهر بن عاشور، وسيد قطب، ومن قبلهم جميعاً الإمام الطبري، وغيرهم، وفي هذا تنبيه لكل من يبحث في فقهه

الموازنات في كتاب الله ﷻ أن لا يكتب فيه حتى يرجع إلى أقوال أولئك الأعلام وغيرهم من أئمة علماء التفسير وأصوله.

٧. الاجتهاد في الدين منصب جليل، وقد جعل الله ﷻ لأنبيائه ورسله الكرام منه نصيباً، وهذا المنصب له شروط وأصول ينبغي مراعاتها والتقيد بها حتى لا تكون فوضى إذا ظهر القول على الله ﷻ بغير علم، ووقع التهجم على تفسير كتابه قبل تملك أداة الاجتهاد.

٨. ينبغي على ترجيح القول بجواز وقوع الاجتهاد من الأنبياء والمرسلين القول بأن المراد من العصمة ليس هو عدم وقوع الذنب ابتداءً؛ وإنما المراد بها هو أن الله ﷻ لا يقرهم على خطأ، وعلى هذا الأصل سار هذا البحث.

٩. حياة موسى عليه السلام فيها من مواطن الموازنات الشيء الكثير؛ حتى إنه ليجتاج إلى إفراده ببحث مستقل يفيض شرحاً لتلك المواطن.

١٠. المحافظة على وحدة الأمة من أهم المطالب التي يسعى إليها العلماء والدعاة والقادة، بشرط ألا يكون ذلك على حساب معتقدات الأمة وثوابتها، أو التفريط في أصل من أصول دينها.

## فهرس المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي: علي بن أبي علي بن محمد، ضبطه: إبراهيم العجوز، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- ٣- أحكام القرآن، الجصاص: أحمد بن علي الرازي، بيروت: دار الكتاب العربي. د.ت.
- ٤- أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة. ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م
- ٥- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني: محمد بن علي، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- ٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي : عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، القاهرة: دار البيان العربي، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٢م
- ٧- البداية والنهاية، ومعه نهاية البداية والنهاية في الفتن والملح، ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء الدمشقي، ت: أحمد عبد الوهاب فتيح، القاهرة: دار الحديث، ط٦: ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ
- ٨- التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٢ / ١٩٨٢م
- ٩- تفسير أبي السعود، المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود: محمد بن محمد العمادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٤: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
- ١٠- تفسير البحر المحيط، أبو حيان: محمد بن يوسف، وبهامشه: ١- تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان نفسه. ٢- كتاب: الدر اللقيط من البحر المحيط، للإمام: تاج الدين الحنفي النحوي، تلميذ أبي حيان، بيروت: دار الفكر، ط٢: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



- ٢١- شرح القواعد الفقهية، الزرقا: أحمد بن محمد، راجعه: عبد الستار أبو غدة، دمشق: دار القلم، ط٤: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٢٢- شرح مختصر الروضة، الطوفي: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- ٢٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، عياض: القاضي عياض الأندلسي، ت: حمزة النشرتي، وعبد الحفيظ فرغلي، القاهرة: مكتبة النشرتي، ط١: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
- ٢٤- الصحاح . تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: إسماعيل بن حماد، القاهرة: ط٢: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
- ٢٥- الصحوة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم. القرضاوي: يوسف، القاهرة: دار الشروق، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
- ٢٦- صحيح مسلم بشرح النووي، ت: عصام الصبابطي وآخرون، القاهرة: دار الحديث، ط٤: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- ٢٧- عقيدة المسلم، الغزالي: محمد ، ط٣ : الإسكندرية : دار الدعوة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م
- ٢٨- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، أحمد شاكر، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٢: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م
- ٢٩- غريب الحديث، ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، فهرسه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- ٣٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، ت: خضر عكاري، وهشام بخاري، بيروت: المكتبة العصرية . ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

- ٣١- فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية، عبد السلام عيادة الكربولي، دار طيبة، دمشق، ط١: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م
- ٣٢- في ظلال القرآن، قطب: سيد، القاهرة: دار الشروق، ط٣٥: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م
- ٣٣- قصص الأنبياء، ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، ضبطه: محمد عبد القادر الفاضلي، بيروت: المكتبة العصرية، ط٤: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
- ٣٤- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: محمود بن عمر، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
- ٣٥- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
- ٣٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الرياض: دار عالم الكتب ١٤١٢هـ - ١٩٩١م
- ٣٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: عبد الحق بن غالب، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- ٣٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود، ت: زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
- ٣٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
- ٤٠- مشكاة المصابيح، التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- ٤١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، إخراج: إبراهيم مصطفى، وآخرون، استانبول: المكتبة الإسلامية، د.ت
- ٤٢- معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م
- ٤٣- مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني: الراغب، ت: صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم، ط٣: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
- ٤٤- من فقه الدولة في الإسلام، القرضاوي: يوسف، القاهرة: دار الشروق، ط٤: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م
- ٤٥- موسوعة الحديث الشريف: "الكتب الستة"، إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الرياض: دار السلام، ط٣: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
- ٤٦- الموازنة بين المصالح والمفاسد وأثرها في الشأن المصري العام بعد الثورة، محمد عبد الواحد كامل، دار اليسر، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م
- ٤٧- نظرية التقريب والتغليب وتطبيقها في العلوم الإسلامية، الريسوني: أحمد، مصر: دار الكلمة، ط١: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
- ٤٨- نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي، حسين حامد حسان، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧١م
- ٤٩- الوجيز في أصول الفقه، زيدان: عبد الكريم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م